مجلة دراسات بيت المقدس [صيف 2014]، 14: 47 - 69

أثر التكامل السياسي والمعرفي في فتح بيت المقدس

أنس زاهر المصري

معهد التميز لدراسات بيت المقدس/ جامعة شمال ماليزيا

مستخلص

تركزت جهود القادة التربويين والسياسيين والعسكريين في فترة الإعداد للفتح الثاني لبيت المقدس على استراتيجيين أساسيتين هما: إعادة وحدة المسلمين خاصة في مصر والشام، وتعبئة الأمة تربوياً ومعرفياً وقد ظهر ذلك جلياً في جهود الإمامين الغزالي و آق سنقر البرسقي. يبين هذا البحث الجهود السياسية والإدارية في توحيد الشام بعد القضاء على الدويلات الصغيرة المنتشرة هناك، وإعادة مصر إلى عسكر أهل السنة بعد تخليصها من الحكم الفاطمي إضافة للارتقاء بأوضاع الأمة السياسية والاجتماعية وإشراك العلماء والأمة في الشورى، وأثر الجهود العسكرية في الإعداد لهذه المعارك الفاصلة، ويركز البحث ويفصل القول في بيان الجهود التربوية والمعرفية التي بذلها الإمام الغزالي في إعادة إحياء روح الدين وعلومه في قلوب الأمة، ودور المجاهد البرسقي في حسن التخطيط وبعد النظر إضافة لنشر العدل وتعبئة أفراد الأمة وتوحيدها خاصة في مناطق الموصل وحلب الأمر الذي عبّد الطريق لجهود القادة اللاحقين. ويمكن إجمال الدروس المستفادة من الإعداد للفتح الثاني لبيت المقدس –وأي فتح قادم– في أن الخطوة الأهم لتحرير بيت المقدس هي عودة الأمة لشرع ربها ونهج نبيها صلى الله عليه وسلم، واستعدادها النفسي والمعرفي، إضافة لتحقيق وحدتها، وضرورة التخطيط والعمل المتواصل المتدرج تحقيقاً للغايات الكبرى والمحورية، كتحرير بيت المقدس، وأهمية تكامل جهود القيادات الشرعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية في عمليات الجهاد والتحرير.

الكلمات الأساسية: بيت المقدس، المعرفة، الجهاد، الفتح المعرفي، دور العلماء، التكامل.

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

المقدمـــة

وقعت الأمة الإسلامية في حالة من الضعف والتفرق أدّت إلى ضياع قبلتها الأولى واحتلال الصليبيين لمسجدها الأقصى المبارك في 493هـ/1099م، وكان هذا الاحتلال مؤشراً على تردي أحوال الأمة الإسلامية في حينها. وتراكمت جهود قادة الفكر والدعوة والسياسة للنهضة بالأمة وإخراجها مما وصلت إليه، ولقد أثمرت هذه الجهود نهضةً فكريةً وتربويةً في الأمة أدت إلى ظهور عماد الدين زنكي، والخليفة الراشدي السادس نور الدين زنكي وتتابعت هذه الجهود إلى أن تكللت بتحرير بيت المقدس ودخول المسجد الأقصى المبارك في 27 رجب 583هـ –1187م بقيادة صلاح الدين الأيوبي رحمه الله.

ويتضح من خلال دارسة مرحلة الإعداد لتحرير بيت المقدس من الاحتلال الصليبي تنوع وتكامل الجهود السياسية والعسكرية والعلمية والتربوية والمعرفية وتعاون القادة والمصلحين في التهيئة لهذا التحرير، ويبين هذا البحث أثر الجهود العلمية والمعرفية التي قدمها حجة الإسلام الغزالي رحمه الله ودوره في تصحيح المسيرة العلمية والتربوية للأمة ومجموعة من المشاريع العملية التي قام بها الإمام لتطبيق رؤيته ومبادئه الإصلاحية والتربوية، ويبيّن البحث كذلك دور المجاهد آق سنقر البرسقي في التأسيس لوحدة المسلمين وجهاده في سبيل ذلك، و استعداده رحمه الله لنصرة قضايا الأمة والمستضعفين فيها، إضافة لبعد نظر البرسقي وفهمه لطبيعة مرحلته والدور المطلوب فيها.

وينقسم هذا البحث إلى أربعة مباحث، حيث يبين المبحث الأول بياناً للظروف التي سبقت فترة تحرير بيت المقدس وأبرز الجهود السياسة والعسكرية للتحرير، ويتناول المبحث الثاني أثر الإمام الغزالي وجهوده، وبتحدث المبحث الثالث عن المجاهد آق سنقر البرسقي ودوره في الإعداد للتحرير، في حين يبين المبحث الأخير الدروس المستفادة من تلك الفترة في الإعداد للتحرير القادم لبيت المقدس والمسجد الاقصى المبارك قريباً بإذن الله.

أهمية الدراسة

تبرز أهمية دراسة الجهود السياسية والمعرفية التي سبقت تحرير بيت المقدس من الاحتلال الصليبي وذلك من خلال:

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

1. بيان الجهود المعرفية التي بذلها علماء الأمة ومصلحيها للتأسيس لتحرير بيت المقدس وإعداد الجيل المهيأ لهذا التحرير، ليستفيد منها الباحثين والمصلحين في الواقع المعاصر وليتضح أهمية دور البناء المعرفي إلى جانب البناء السياسي والعسكري.
2. التعرف على الجهود السياسية والعسكرية التي قُدمت في عهد نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي، للتعرف على الطريق السياسي والعسكري الواجب اتباعه في الإعداد للتحرير القادم لبيت المقدس.
3. التعريف بأهمية التكامل بين الجانب السياسي والفكري في الإعداد للتحرير القادم.

مشكلة الدراسة

تتمثل مشكلة الدراسة في محاولة الإجابة عن الأسئلة التالية:

1. ما هي أبرز الجهود السياسية والعسكرية التي سبقت التحرير الصلاحي لبيت المقدس؟
2. ما هي أهم إسهامات الإمام الغزالي في الإعداد التربوي والفكري والمعرفي لتحرير بيت المقدس؟
3. ما دور العلامة آق سنقر البرسقي في التخطيط والإعداد السياسي لتحرير بيت المقدس؟
4. ما أهمية التكامل السياسي والمعرفي في الإعداد للتحرير القادم لبيت المقدس؟

أهداف الدراسة

تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. بيان الخطوات السياسية والعسكرية الكبرى التي قام بها نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي لتحرير بيت المقدس.
2. التعرف على جهود الإمام الغزالي العلمية والفكرية التي بذلها في سبيل إعداد الامة لمعركة تحرير بيت المقدس واستعادة الأمة لروح الجهاد.
3. توضيح إسهامات العلامة آق سنقر البرسقي في الجوانب السياسية والتخطيطية لتحرير بيت المقدس.
4. استخلاص الدروس المستفادة من التكامل السياسي والمعرفي في الإعداد للتحرير القادم لبيت المقدس.

إضافة الدراسة

1. إفراد بحث لبيان التكامل السياسي والمعرفي في التحرير الصلاحي لبيت المقدس، والاستفادة منه في الإعداد للتحرير القادم لبيت المقدس.

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

2. تسليط الضوء على جهود العلامة آق سنقر البرسقي في الإعداد للفتح الصلاحي لبيت المقدس، وبيان الدور المهم الذي قام به رحمه الله.

منهجية الدراسة

ستعتمد الدراسة على **المنهج الوصفي** من خلال تتبع الدراسات والأبحاث التي كتبت حول الجهود العلمية والمعرفية إضافة للجهود السياسية والعسكرية التي بُذلت في التحرير الصلاحي لبيت المقدس. وتوصيف هذه الجهود ومعالمها وتحليل مظاهرها وآثارها وإمكانية إعادة تطبيقها.

أبرز الملامح العسكرية والسياسية في الإعداد للتحرير الصلاحي بيت المقدس

تقلبت الأمة الاسلامية بين قوة وضعف، ونصر وهزيمة، كما هو حال أي أمة، فقد ضعفت الأمة خلال القرن الخامس الهجري وضعفت سلطتها وطمع فيها أعداءها، وتعرضت لحملات صليبية متتابعة أدّت إلى ضياع قبلتها الأولى وسقوطها بيد الاحتلال الصليبي. ويتبين من خلال أحداث القرن الخامس الهجري الذي سبق احتلال الصليبيين لبيت المقدس سيطرة السلاجقة الأتراك على بغداد وتولوا الخلافة الإسمية للعباسيين، ثم ضعفت هذه الدولة "وانحلت الدولة ووقع السيف" بحسب تعبير ابن الأثير[1]، وتَبع ذلك بدء الحملات الصليبية عام 1098م/ 491هـ وفي هذه الأثناء قام الفاطميين بالاستيلاء على بعض المدن في الشام واستولوا على بيت المقدس في بداية عام 1098. وفي ظل تخاذل وتعاون مجموعة من أمراء المدن المجاورة والمؤدية لبيت المقدس، تمكن الصليبيين من دخول بيت المقدس واحتلال المسجد الأقصى المبارك في 1099/7/15م الموافق 23/شعبان/492هـ وأعملوا في المسلمين قتلاً وتشريداً[2].

إلا أن الأمة الإسلامية أمة ولادّة مجاهدة، فقد استمر جهاد المسلمين ضد الصليبيين دون توقف، وإن افتقر هذا الجهاد للمقومات اللازمة وحسن الإعداد والتخطيط، وتداول المسلمون والصليبيون النصر والهزيمة في هذه المعارك، واستمر هذا التقلب إلى أن ظهر عماد الدين زنكي رحمه الله وبدأ عهد الدولة الزنكية في الموصل وحلب، وتواصل جهاده ضد الصليبيين وانتصاراته المتتالية عليهم فقد فتح رحمه الله الرها في 539هـ وأسقط المملكة الصليبية التي قامت بها، واستمرت كذلك جهوده في توحيد المسلمين حيث وحّد مجموعة

من المدن والحواضر الاسلامية وقد كان ذلك تأسيساً لجهود من تبعه من القادة المجاهدين[3]. ولقد قيض الله خير خلف لعماد الدين زنكي حيث ورثه ابنه نور الدين محمود فانفتحت بحكمه صفحة رائعة من صفحات الجهاد طوال فترة حكمه التي استمرت ثمانٍ وعشرين سنة عمل خلالها على تحرير بلاد المسلمين واسترداد مقدساتهم، وتوحيد المسلمين تحت راية إسلامية واحدة، ويصف أحد الباحثين[4] الملامح الاصلاحية التي قام بها نور الدين زنكي وأبرز هذه الملامح:

- وجود قيادة إسلامية عاملة وصادقة.
- الالتزام الإيماني والشرعي في جميع فئات المجتمع ومراتبه.
- وحدة المسلمين واعتبار المعركة بين الحق والباطل فهي لا تتعلق بقومية أو جنسية معينة.
- الإعداد المتكامل للأمة إيمانياً ومعرفياً واجتماعياً وعسكرياً لترقى المستوى الجهاد.

وتوالى جهاد نور الدين زنكي في توحيده للبلاد الإسلامية وضمها تحت راية واحدة، حيث ضم حمص إليه في سنة 544هـ/1149م ثم استطاع ضم دمشق بعد مناورة واستثمار للظرف التي تمر به حيث افتتحها في سنة 549هـ/1154م، وبعد أن استقر له الأمر في الشام ودانت له مدنها كان لا بد من التوجه للشق الآخر المحيط ببيت المقدس والعمل على توحيده للتمكن من مهاجمة الصليبيين وتحقيق حلم نور الدين بتحرير بيت المقدس، فأرسل نور الدين زنكي أسد الدين شيركوه أحد قادته إلى مصر وبعد ثلاث حملات خاضتها قوات نور الدين في مصر واستمرت خمس سنوات تخللتها معارك مع الفرنجة ومع قادة الفاطميين الذي خانوا عهودهم مع نور الدين؛ استتب الأمر لنور الدين في مصر سنة 564هـ بقيادة أسد الدين شيركوه الذي لم يلبث أن توفي فتولى صلاح الدين الأيوبي (يوسف بن نجم الدين أيوب بن شادي) الوزارة في مصر وعمره حينذاك 32 سنة، وألغى الحكم الفاطمي فيها فأصبحت مصر تابعة لنور الدين زنكي وتمت الخطابة للخليفة العباسي[5]. وتوالت بعد ذلك جهود توحيد المسلمين حيث ضم نور الدين الموصل لمناطقه عام 566هـ/ 1170م، كما ضم صلاح الدين اليمن عام 569هـ/1173م، واستمر جهاد

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

المسلمين ضد الصليبيين وتداولت الأيام والوقائع بينهم في تلك الفترة، ثم عزم نور الدين زنكي على المسير نحو بيت المقدس وجهز للمسجد الأقصى المبارك منبره المشهور إلا أنه توفي خلال الإعداد لذلك في 11 شوال 570هـ/ 1174/5/15م.

وحمل راية الجهاد صلاح الدين الأيوبي بعد وفاة نور الدين زنكي رحمه الله، إلا أن أمر الحكم انتقل إلى الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين زنكي الذي كان صغيراً حينها وتولى أمره ابن المقدم، وأظهر ابن المقدم ضعفه في سياسة الحكم ومواجهة الصليبيين، وبعد بعض المناوشات بين صلاح الدين وجند ابن المقدم تمكن صلاح الدين الأيوبي من السيطرة على مصر والشام وتَسَمى بملك مصر والشام وأقره الخليفة العباسي على ذلك. ولقد أدت هذه الخلافات بين المسلمين والحاجة لإعادة توحيد الأمة إلى تأخر المعركة الفاصلة مع الصليبيين اثنا عشر عاماً أخرى[6].

وكانت معركة حطين هي المعركة الفاصلة بين المسلمين والصليبيين والتي فتحت الطريق لتحرير المدن الأخرى في فلسطين ثم السير نحو بيت المقدس لتحريرها، وقد وقعت هذه المعركة الفاصلة في تاريخ المسلمين في ربيع الآخر 583هـ/ تموز1187م وانتصر المسلمون فيها نصراً مظفراً فقتلوا 30 ألفاً من الفرنج وأسروا 30 ألفاً آخرين، وافتتحت المدن والقلاع بعد ذلك تباعاً، إلى أن وصلت جيوش المسلمين إلى بيت المقدس وبدأت حصارها في رجب 583هـ/ أيلول 1187م وبعد حصار استمر اثنا عشر يوماً استسلم الصليبيون بعد أن منحهم صلاح الدين الأمان بناءً على مشورة قادة المسلمين تجنباً لتنفيذ الصليبيين تهيدهم بقتل حوالي خمسة آلاف من أسرى المسلمين وتخريب قبة الصخرة ومصليات المسجد الأقصى المبارك[7]. وبهذا الفتح الرباني الكبير والتحرير المبارك في27 رجب583هـ/ الثاني من تشرين الأول 1187م تكاملت جهود الصلحين التربويين وقادة المعرفة والفكر مع جهود القادة السياسيين والعسكريين في تحرير بيت المقدس وتطهير المسجد الاقصى المبارك- وسيبين المبحثين التاليين بعض هذه الجهود التربوية والمعرفية وحسن التخطيط ونماذج من قادة هذا الدور المبارك-.

ويمكن الاستفادة من الجهود التي بذلها القادة عماد الدين زنكي ونور الدين زنكي الذي يعتبر المؤسس والممهد لوحدة المسلمين والتجهيز لتحرير بيت المقدس، وجهود القائد صلاح الدين الأيوبي وجنده وقادته، والرعية التي استجابت لنداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهي دروس صالحة للاستفادة منها في كل حين. حيث تركزت الجهود السياسية والعسكرية على محورين رئيسين هما:

1. تربية الأمة إيمانياً وإعادة وحدة المسلمين ولم شملهم وتجميع جهودهم.
2. مواجهة الصليبيين وضرب معاقلهم، وصولاً لتحرير بيت المقدس.

ويمكن إجمال أبرز الاستراتيجيات والملامح التي ساعدت في تحقيق هذين المحورين[8] بما يلي:

1. **توحيد الأمة والبلاد الإسلامية وخاصة مصر والشام:** وهو المشروع الرائد الذي وضعه عماد الدين زنكي على الرغم من تشكيك الكثير في حينها من تحقيق هذه الوحدة، وقد وأتم نور الدين الجزء الأول من هذا المشروع، ثم أنجز صلاح الدين جزئه الثاني بتوحيد مصر مع الشام، ولولا هذه الوحدة لما تحقق النصر والتحرير.
2. **الإعداد الكامل والاهتمام البالغ بقضية التحرير:** فقد ظهر اهتمام القادة العسكريين بصناعة الأسلحة، وبناء السفن، وعمل المفرقعات، وتركيب الألغام والمجانيق، وغيرها من أدوات القتال، وقد قيل في وصف صلاح الدين الأيوبي "*كان رحمه الله عنده من القدس أمر عظيم لا تحمله إلا الجبال*".
3. **تجهيز جيل مقاتل في سبيل الله:** فقد زرعت في نفوس هذا الجيل القيم الإسلامية الدافعة للجهاد والبذل والتضحية كالاستقامة على أمر الله، وتوفير الأسباب المادية مع الاعتماد الكامل على الله.
4. **الصبغة الاسلامية للقيادات السياسية والادارية والعسكرية:** حيث تميزت قيادات نور الدين وصلاح الدين رحمهما الله بالتزامها العقائدي والشرعي في غالب نشاطاتها وممارساتها، ويرجع ذلك للتربية الإسلامية الصافية التي تلقتها في الزوايا والربض العلمية والفقهية.
5. **الحنكة السياسية وعقد الاتفاقيات مع القوى المجاورة:** وقد ظهر ذلك جلياً في جهود صلاح الدين الأيوبي حيث عقد عدة اتفاقيات مع بعض القوى المجاورة التي

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

يمكن أن تؤثر على إمداد الصليبين، أو التأثير على الجبهة الاسلامية اقتصادياً وعسكرياً وكان التركيز في هذا المجال على المدن الايطالية التجارية، كما عمل على تنظيم أطماع أسرته الحاكمة واسترضائها تجنباً للخلافات والخيانات والانقلابات الداخلية.

6. تصحيح أسلوب الحكم وإشراك العلماء فيه وإحياء الشورى وعدم الانفراد باتخاذ القرارات.
7. توفير الأمن والعدل والحريات واحترام الحرمات العامة.

وسيعمل البحث على بيان الدروس التاريخية والمعالم الرئيسة في هذه المرحلة لمحاولة فهم حركة التاريخ وقوانينه والتعرف على سنن النصر والهزيمة بشكل يساعد الأجيال المعاصرة في الاستفادة من التاريخ، وهو ما يؤكده د. عماد الدين خليل بإشارته إلى أهمية "*تجاوز الجزئيات إلى الكليات، والوقائع الصغيرة إلى الدلائل الخطيرة، ولا يقف [الباحث] عند حدود النص أو الواقعة بل يتعداها إلى معناها العميق ودلالاتها الموحية..*"[9] ويتأكد هذا الأمر في دراسة الجوانب السياسية والعسكرية لفهم المعطيات الحضارية بصورة متكاملة وفهم الجزئيات المتفرقة في صورة واسعة متكاملة[10].

جهود الإمام الغزالي العلمية والمعرفية في الإعداد لمعركة التحرير

يعدّ الإمام الغزالي واحداً من أبرز أعلام الفكر الإسلامي والفكر الإنساني عامةً ومن العباقرة الذين تعددت جوانب نبوغهم وعطائهم الجامعين للمعرفة الموسوعية. وحجة الإسلام هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الشافعي المكنى بأبي حامد، والملقب بزين الدين ولد سنة 450هـ وتوفي في طوس في 505هـ، فقيه وأصولي وصاحب شهرة علمية وعملية كبيرة. له العديد من المصنفات في ميادين الفقه والأصول والكلام والمنطق والتصوف والأخلاق وغيرها تدل على عمق وأصالة علمه وتفوقه في هذه العلوم[11]. ومن أبرز مصنفات الإمام كتابه الشهير القدير إحياء علوم الدين، إضافة للعديد من الكتب والمصنفات مثل المستصفى في الأصول، والوسيط والوجيز في الفقه، ومقاصد الفلاسفة وتهافت الفلاسفة ومعيار العلم في الفلسفة، وغيرها من المصنفات. ولقد تعددت جهود

الإمام الغزالي وتنوعت في العديد من الميادين، واشتهرت جهوده في التزكية والتصوف وعلم الكلام والفلسفة كذلك، إلا أن هذا البحث يركز على الجهود المعرفية والتربوية للإمام الغزالي التي هيأت وأسست لتحرير بيت المقدس وتطهيره عام 583هـ أي بعد وفاته رحمه الله بثلاثة عقود، حيث أثمرت جهوده في المدارس والمصلحين الذين تبعوا خطاه وساروا على دربه في التربية والإصلاح.

ويؤكد أحد الباحثين أنه بالرغم من بروز الجانب التعليمي التوجيهي التربوي في آثار أبي حامد الغزالي؛ فإن هذا الجانب لديه لم يحظ بما يستحقه من عناية وقد يعود ذلك إلى أن موضوع التربية صُبغ بطابع التصوف في كتابته رحمه الله[12]. ومن المعروف أن الغزالي مُرَبٍّ مصلح مارس التعليم معظم فترات حياته برؤية واضحة المعالم، حتى ارتبطت حياته بالتعليم والتدريس وتميز به وجاءه الطلاب وقصدوه للتعلم والاستفادة منها حيث يعلق رحمه الله على ذلك بقوله "*وأنا ممْنُوُ[مبتلىً] بالتدريس والإفادة لثلاثمائة نفس، من الطلبة ببغداد*"[13] وقال "*ولا حظت أعمالي وأحسنها: التدريس والتعليم*"[14].

ولقد تجلى دور الإمام الغزالي في تربية الأمة وتأسيسها علمياً ومعرفياً لتقوم بدورها الشاهد على الأمم، وإعادتها إلى الوجهة التي ارتضاها الله عز وجل ونبيه صلى الله عليه وسلم لهذه الأمة، وقد أثمرت هذه الجهود في إصلاح الأمة وإخراج الجيل الذي استعاد بيت المقدس وحرر مسجدها الأقصى المبارك، وقد عبّر عن ذلك د. ماجد عرسان الكيلاني بوصفه لهذه الجهود بأنه "هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس"[15]، ويمكن بيان أبرز هذه المحاور التي بذل الإمام الغزالي فيها جهده وجهاده بما يلي:

بيان مشكلة التعليم في عصره: عمل الإمام الغزالي على تشخيص الأمراض التي يعاني منها المجتمع في زمنه ومحاولة النفوذ إلى أسبابها وجذورها دون التوقف على المظاهر السطحية أو ظواهر الأمور، فقد أرجع الإمام أصل العلل في المجتمع الإسلامي إلى فقدان العلماء والمربين الذين يعملون للآخرة لا للدنيا. حيث عالج الإمام الغزالي "قابلية الهزيمة" أكثر من التعرض لمظاهر الهزيمة، وقد شابهه مالك بن نبي رحمه الله في توصيف مسألة

"القابلية للاستعمار" في هذه المسألة. فكانت الخطوة الأولى هي استشعار الحاجة للتغيير والإصلاح[16]، وبهذا عمل الإمام رحمه الله على تشخيص المرض ومن ثم يمكن البحث عن العلاج ومقوماته وسبله.

وضع مناهج تربوية وإنشاء مدارس جديدة: بيّن الإمام الغزالي رحمه الله المواصفات الأساسية واجبة التوفر في العلماء والمربين الربانيين (علماء الآخرة)، وعمل الإمام على وضع المحددات الأساسية للمناهج واجبة الاتباع في عملية التربية والتعليم. ولم يكتفِ بذلك رحمه الله بل طبق هذا المنهاج في مدرسته التي أنشأها في نيسابور، وتبعه كثير من العماء والمصلحين واتبعوا خطواته ونهجه في عملية التربية، حيث تأثرت به المدرسة القادرية في بغداد والمدارس الأخرى التي تبعت نهج الغزالي مثل المدرسة العدوية التي أثرت في قبائل الأكراد العراقية[17] –ومن المعلوم أن صلاح الدين الأيوبي رحمه الله كردي وقد ولد في قلعة تكريت في العراق ونشأ في الموصل وبعلبك–. ولقد ساهمت هذه المدراس ودور القرآن في بث الروح الإسلامية وبلغ الاهتمام في هذه المحاضن التربوية أوجه زمن نور الدين زنكي، وتولى هذه المدارس علماء ودعاة تخرجوا من المدارس الغزالية والقادرية والمدارس التي اتبعت نهج الإمام الغزالي رحمه الله[18].

إيجاد معالجات عملية (صناعة وقيادة الفعل): عمل الإمام الغزالي على تقديم حلول عملية للمشكلات التي تواجه الأمة وقدم المشاريع العملية لذلك في مساهمة واضحة في صنع وقيادة الفعل وعدم اتباع سياسة رد الأفعال أو محاولة تبرير حالة الضعف التي وصلت إليها الأمة وتحميل الصليبيين والأعداء مسؤوليتها، حيث اعتمد رحمه الله أسلوب النقد الذاتي[19]، وأتْبَعَ هدم الأفكار الفاسدة بالعمل على بناء مفاهيم صحيحة من خلال أمرين أساسيين[20]:

- إحياء العلوم الدينية الحقيقية، بدلاً من العوم الفلسفية والمبتدعة.
- إحياء الشعور الديني الدافع للعمل لخدمة الدين ونصرته، عملاً خالصاً لله جلا وعلا.

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

ثم واصل الإمام رحمه الله تقديم الحلول العملية من خلال وضع مقومات التعليم وشروط الإصلاح، وتطبيق ذلك عملياً في مدرسته في نيسابور وعدة مدارس أخرى في عدة حواضر إسلامية، وفي ذلك محاولة للتغيير العملي وعدم الاكتفاء بتوصيف المشكلة بل بعلاجها أيضاً.

اعتبار نشر العلم وإفادته أشرف المهمات: لاحظ الإمام الغزالي رحمه الله الضعف الذي وصل إليه مجتمعه والسقوط في الشهوات وعدم صلاح العلماء أو قيامهم بدورهم. فعمل على معالجة هذا الأمر ومحاولة إيجاد قوانين الإصلاح من القرآن الكريم وتجربته الفلسفية والصوفية[21]، وقد وجد أن نشر العلم وإفادته هي أفضل السبل لمعالجة هذه الإشكالية حيث قال رحمه الله *"فأشرف هذه السياسات.. بعد النبوة إفادة العلم وتهذيب النفوس"*[22].

تحرير الفكر من العصبية والتقليد: سعى حجة الإسلام رحمه الله إلى تحرير فكر أبناء الأمة من التعصب للمذاهب العقدية أو الفقهية أو الفكرية الموجودة، حيث سادت في عصره موجه كبيرة من التعصب المذهبي ورفض الآراء الأخرى. وقد دعا إلى التحرر من التعصب من خلال النظر إلى القول لا إلى قائله والاعتماد على دليل الرأي وليس شهرة صاحبه، ورفض القداسة التي أحاطت ببعض المذاهب والأقوال الفقهية ومنعت الناس من نقاشها وانتقادها[23].

تكامل العلوم الشرعية وغير الشرعية: تميز الإمام الغزالي رحمه الله بدعوته إلى تكامل العلوم الشرعية مثل التوحيد والفقه والتصوف، والعلوم الطبيعية أو غير الشرعية مثل الكيمياء والطب والحساب واعتبرها كلها علوم إسلامية ومطلوبة شرعاً، والمسلمين مطالبين في دراسة هذه العلوم والتخصص والإبداع فيها، حيث اعتبر العلوم غير الشرعية فرض كفاية لو خلا منها بلد سارع إليه الهلاك[24]. وعقد نوع من المقارنة بين من يقتصر على أحد هذه القسمين دون الاهتمام بالآخر، حيث اعتبر رحمه الله أن من يقتصر على العلوم الشرعية وحدها لا يفهم من الدين إلا قشوره وخيالاته فلا تدرك العلوم الشرعية إلا بالعلوم العقلية. في حين أن من يقتصر على العلوم الطبيعية أو غير الشرعية يضيع عمره

فيما لا ينفعه في الآخرة، ثم يقرر أنه من قصد الله تعالى بأي علم كان فإن ذلك ينفعه ويرفعه[25] . ويؤكد الإمام رحمه الله تكامل هذين النوعين من العلوم بقوله *"فإن العقلية [العلوم العقلية والطبيعية] كالأدوية للصحة، والشرعية [العلوم الشرعية] كالغذاء"*[26].

كما تميز الإمام الغزالي رحمه الله بالدعوة إلى تكامل العلوم الشرعية نفسها وعدم الاقتصار على الجزئيات الفقهية في مذهب معين، بل دعا إلى تكامل العلوم الشرعية من فقه وتوحيد وتصوف، وفي هذا خروج من الأطر المذهبية والتعصب المذهبي الذي ساد في بعض العصور الإسلامية[27] حينما أخذ التمذهب الفقهي اهتماماً أكثر مما ينبغي.

محاربة التيارات المنحرفة: اتبع الإمام الغزالي في الناحية الفكرية والعلمية المبدأ المتبع في تزكية النفس (التخلية والتحلية) بالتخلص من الأفكار الفاسدة والمعارضة لحقيقة الإسلام وتخلية العقل والقلب منها، وتحليتهما بالعلوم والأفكار الإسلامية القويمة الصحيحة. حيث حارب الإمام رحمه الله التيارات الفكرية المضادة التي سادت في عصره وتصدى لحل الإشكاليات الفكرية التي يعاني منها زمانه ومكانه وقد تمثلت بشكل رئيسي في الباطنية والفلاسفة، وقد واجههما بأسلوب علمي رصين ودراسة واطلاع على أفكار هذه المذاهب فاقت أبناء المذهب الفكري نفسه، فقد تميزت حياة الإمام العلمية والفكرية بالبحث عن الحقائق، واتبع منهجية الملاحظة الدقيقة للوقائع والأحداث، أضافة لقدرته على التأمل وتحليل الظواهر والأفكار. ويمكن للدارس لتلك الفترة تقدير جهود الإمام الغزالي في مواجهة الباطنية التي قتلت واغتالت كثير من العلماء والمصلحين المخالفين لها، فلقد واجه الإمام رحمه الله هذه الطائفة مضحياً بروحه في سبيل تصحيح أفكار الأمة وبنيتها العلمية والمعرفية[28].

تكامل أفكار العلماء والباحثين بدل تنابذها: سعى الإمام الغزالي إلى تحقيق هدفين رئيسين، يتمثل أحدهما في إخراج جيل جديد من العلماء والقادة العاملين تتوحد جهودهم وأفكارهم وتتكامل لتحقيق صلاح الأمة ونهضتها[29]. حيث دعا الإمام رحمه الله إلى أن يعمل ويقدم كل عالم أو قائد أو مصلح في مجاله وبما يرى فيه خير وصلاح الأمة، دون التعريض بجهود العلماء والباحثين الآخرين ومواجهتها، ولا بد أن هذه الجهود

ستتكامل في إخراج الجيل المنشود وتحقيق الهدف المقصود. وكم تحتاج أمتنا في هذا العصر إلى هذا الفهم والتعاون خاصة بين العلماء والعاملين للإسلام وقضايا الامة!

وبهذا يظهر جزء من الدور الذي قام به حجة الإسلام الإمام الغزالي في الجانب العلمي والمعرفي لتهيئة المجتمع وتربية أبناء الامة ليكونوا مؤهلين لخوض معركة تحرير بيت المقدس والمسجد الاقصى المبارك. وهي إسهامات واضحة قابلة للتطبيق في كل زمان ومكان أو حال تمر به الأمة في الإعداد لتحرير بلاد المسلمين وتطير مقدساتهم.

دور المجاهد آق سنقر البرسقي في إعداد الأمة لتحرير بيت المقدس

يقدم هذه المبحث تعريفاً سريعاً بالقائد المجاهد آق سنقر البرسقي وأبرز صفاته التي أهلته للقيام بدوره في تحرير بيت المقدس والمسجد الأقصى المبارك. فهو أبو سعيد البرسقي والملقب بسيف الدين قسيم الدولة، تولى إمارة الموصل والرحبة، جاهَدَ الصليبيين في أكثر من موقع ورفع الحصار الصليبي عن حلب، وأسس لوحدة الجبهة الإسلامية التي أثمرت تحرير بيت المقدس. كان البرسقي كما يصفه المؤرخون عادلاً، حميد الأخلاق، شديد التدين، محبًّا للخير وأهله، مكرمًا للفقهاء والصالحين، شجاعًا نال احترام وتقدير الخلفاء والملوك، ليِّنًا، حسن المعاشرة، كثير الصلاة، عالي الهمة؛ وبذا أجمع معظم المؤرخين على أنه كان من خيار الولاة[30].

قتل قسيم الدولة البرسقي خلال فترة حكمه للموصل في التاسع من ذي القعدة سنة 520هـ على يد الباطنية يوم الجمعة في الجامع العتيق في الموصل حيث كان يصلي فيه مع عامة المسلمين. وكان قد رأى تلك الليلة في منامه أن عدة كلاب ثارت به، فقتل بعضها، ونال منه الباقي ما آذاه، فقص رؤياه على أصحابه، فأشاروا عليه بترك الخروج من داره عدة أيام، فقال: لا أترك الجمعة لشيء أبداً، فغلبوا على رأيه، ومنعوه من قصد الجمعة، فعزم على ذلك، فأخذ المصحف يقرأ فيه، فكان أول ما رأى {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُوراً}، فركب إلى الجامع وكان يصلي في الصف الأول، فوثب عليه بضعة عشر

شخصاً، فجرحوه بالسكاكين، وتمكّن رحمه الله وحُرَّاسه من قتل بعضهم، ثم حُمل جريحًا ومات في نفس اليوم رحمه الله[31].

تحلى المجاهد آق سنقر البرسقي بمجموعة من الصفات والمؤهلات هيأته إلى أداء الدور المحوري في التهيئة وتعبيد الطريق للجهود التالية في قتال الصليبيين وتحرير بلاد المسلمين، ولقد توجت هذه الجهود بتحرير مدينة بيت المقدس والمسجد الأقصى المبارك من الاحتلال الصليبي وإعادتهما إلى روضة الإسلام، ومن الواضح أن للبرسقي مميزات أهلته ليترقى من كونه مملوكًا إلى محاربًا في الجيوش إلى أن يكون واليًا على الموصل، ويمكن بيان أبرز هذه الصفات بما يلي:

الهمة العالية والجهد المتواصل: امتاز المجاهد البرسقي بالنشاط الدائب والحركة السريعة، فلقد كان رحمه الله كثير الحركة دائب النشاط لم تعرف نفسه يومًا الكسل، جاهد الغزاة في الشام، ثم قاتل الخارجين عن طاعة السلطان والخليفة العباسي في بغداد وجنوبي العراق وحارب الباطنية إلى أن شارف على القضاء عليهم، وما أن تولى ولاية الموصل إلا وقام بمحاربة الصليبيين ونشر العدل بين أهلها، ثم هبّ للدفاع عن حلب مستجيبًا لنداء أهلها بإنقاذهم من الأوضاع الاقتصادية والسياسية السيئة التي تردّوا فيها خلال تعرضهم للهجمات الصليبية[32]. ولقد أثرت همة البرسقي العالية فيمن حوله من القادة والولاة فاستثارت هممهم وأيقظت فيهم معاني البذل والجهاد، حيث ظهر ذلك عند خروجه لقتال الصليبيين وفك الحصار عن حلب، فقد أرسل إلى أمير دمشق وأمير حمص يطلب منهما مساعدته في نجدته لحلب، فلبى الأميران دعوته وبعثا بعساكرهما للانضمام إلى جيش البرسقي[33].

التضحية وصدق العهد مع الله: فلقد مرض البرسقي عام 518هـ بالحمى، وكان الضعف قد بلغ منه مبلغاً عظيماً، فمنع الناس من الدخول عليه إلاَّ الأطباء، وعندما جاء للوفد الحلبي طالباً للنصرة بعدما أصابهم من ضيق وكرب شديد جراء الحصار الصليبي لمدينتهم، أذن البرسقي لهذا الوفد بالدخول فدخلوا عليه واستغاثوا به وشرحوا له الأخطار التي تحيق بحلب ومدى الصعوبات التي يعانيها أهل المدينة، فأجابهم *"إنكم ترون ما أنا*

الآن فيه من المرض، ولكني قد جعلت لله عليَّ نذراً لئن عافاني من مرضي هذا لأبذلن جهدي في أمركم والذبّ عن بلدكم وقتال أعدائكم"[34]. ولم تمض ثلاثة أيام على مقابلته تلك حتى فارقته الحمى، وتماثل للشفاء، وسرعان ما ضرب خيمته بظاهر الموصل، ونادى قواته لأن تتأهب لقتال الصليبيين وإنقاذ حلب، وفي غضون أيام معدودات غدا جيشه على أهبة الاستعداد فغادر الموصل متجهاً إلى الرحبة[35]. ولقد وصفه د. محمد علي الصلابي تعليقاً على هذه الواقعة بأنه (قعيد نذر الجهاد فرزقه الله الشفاء).

الحرص على وحدة المسلمين: يشير المؤرخون إلى أن البرسقي كان الوالي الوحيد للموصل، منذ بدء عهد الولاة عام 489هـ وحتى تولي عماد الدين زنكي عام 521هـ، الذي لم يطمح إلى مخالفة السلطان السلجوقي والاستقلال عن سلطته، لحبه له وإخلاصه لوحدة الدولة السلجوقية إزاء التفتّت والانقسام[36]. فلقد رضي البرسقي رحمه الله لنفسه أن يعمل تحت الراية السلجوقية ويتبع لها، ولم ينفصل أو يستقل بإمارة الموصل أو حلب طمعاً في ملك كامل أو منصب مستقل[37].

الاهتمام بالإصلاح السياسي والاجتماعي: ظهر التوازن في عمل المجاهد البرسقي وجهوده وحرصه على الإصلاح السياسي ورفع الظلم عن الناس إضافة لتحريك الزراعة والتجارة في البلاد التي وصلها، ولم يكتفِ رحمه الله بالجبهة الخارجية مجاهداً في سبيل الله، بل وجه جهوده كذلك نصرةً للمسلمين التي افتتح بلادهم أو أنقذها وسعى لتحقيق مصالحهم. ولقد ظهر ذلك جلياً بعد فك الحصار عن حلب حيث دخلها البرسقي وبدأ بحل مشاكلها ورفع مستواها الاقتصادي والاجتماعي، فنشر العدل وأصدر مرسومًا برفع المكوس والمظالم المالية وإلغاء المصادرات. كما قام بعد فكه الحصار عن حلب بنشاط واسع لجلب المؤن والغلال إليها ليخفف من حدة الغلاء، ويقضي على الضائقة التي يعانيها أهلها، وعاد النشاط الزراعي في منطقة حلب إلى حالته الطبيعية، واستأنف المزارعون العمل في أراضيهم التي شردوا عنها، كما عاد النشاط التجاري إلى عهده السابق اعتمادًا على ما تمتعت به المنطقة من أمن واستقرار.

التخطيط وبُعد النظر: تميز جهاد البرسقي رحمه الله بالنظر في عواقب الأمور والتخطيط لمستقبل الأحداث دون الاكتفاء بردات الفعل أو الهجوم المستمر غير محسوب النتائج، فقد كان رحمه الله متفهماً لمقاصد العدو متّبعاً معهم خطوات مدروسة ومتعقلة. ولقد ظهر ذلك جلياً بعد فكه لحصار حلب ودخولها حيث أدرك البرسقي هدف الصليبيين من انسحابهم الى الجبال المجاورة واتخاذهم موقفاً دفاعياً، فلم يتسرع بمهاجمتهم بل أعاد تنظيم قواته من جديد، خوفاً من نزول هزيمة بجنده قد تعرض حلب للسقوط وقال موضحاً خطته هذه *"ما يؤمننا أن يرجعوا علينا ويهلك المسلمون؟ ولكن قد كفى الله شرهم، فلندخل إلى البلد ونقويه وننظر إلى مصالحه، ونجمع لهم إن شاء الله، ثم نخرج بعد ذلك إليه"*[38].

ويظهر الدور الأساسي لجهود البرسقي رحمه الله في التأسيس لوحدة الجبهة الإسلامية وتجميع جهود المسلمين، الأمر الذي مهد الطريق أمام عماد الدين زنكي ومن تبعه من القادة والمجاهدين إلى أن تكللت جهودهم بتحرير بيت المقدس وتطهير المسجد الأقصى المبارك. فلقد استطاع رحمه الله تخليص حلب من الحصار الصليبي لها وتوحيدها مع الموصل لأول مرة منذ بدء الحروب الصليبية، حيث تعتبر حلب القاعدة الثانية في الشمال بعد الموصل، وتتمتع بمركز استراتيجي حيوي من النواحي البشرية والعسكرية والاقتصادية وخطوط المواصلات، الأمر الذي هيأ للاستفادة من وحدتها مع الموصل لتحقيق الانتصارات القادمة. يُضاف إلى أن هذه الوحدة شكلت نواة لما قام بعدئذ بالشام من دولة إسلامية متحدة زمن الزنكيين والأيوبيين والمماليك، ولم يكن الصليبيون يواجهون قبل ذلك سوى بلاد تنازعتها في الشام قوى عديدة وإقطاعات متفرقة زادت من ضعفها، إلا أنه بعد توحيد حلب مع الموصل بدأ توحيد الجبهة الإسلامية، التي قدر لها أن تقضي تالياً على قوة الصليبيين في الشام. وإن كان البرسقي رحمه الله لم يشهد التحرير الكامل إلا أنه فتح الطريق أمام عماد الدين زنكي الذي جاء بعد سنتين ليواصل جهاده ولتتابع جهود القادة نور الدين الشهيد وصلاح الدين الايوبي في تحرير بيت المقدس[39].

ويصف المؤرخ الإنجليزي المعاصر ستيفن رانسمان هذه المرحلة بقوله "*...سرعان ما غدت الإمارة التي شكلها البرسقي نواة لما قام بعدئذ بالشام من دولة إسلامية متحدة زمن الزنكيين والأيوبيين والمماليك، ولم يكن الصليبيون الذين وحد بينهم نظام الملكية في بيت المقدس، يواجهون قبل ذلك سوى بلاد تنازعتها في الشام قوى عديدة وإقطاعات متفرقة زادت من ضعفها، وما حدث من توحيد حلب مع الموصل يعتبر بدء توحيد الجبهة الإسلامية التي قدر لها أن تقضي في يوم من الأيام على قوة الصليبيين في الشام*"[40]. وبهذا يظهر دور البرسقي رحمه الله وجهاده وهمته العالية في نصرة الأمة ومحاربة أعدائها وتضحيته في سبيل ذلك، كما يظهر تكامل جهوده العسكرية والسياسية والاجتماعية التي أدت إلى قيام الوحدة بين أهم مركزين في الشمال وأسست إلى وحدة المسلمين في جهادهم ضد الصليبيين وتحرير مقدسات المسلمين.

الاستفادة من التكامل السياسي والمعرفي في الإعداد للتحرير القادم لبيت المقدس

تقدم دراسة التاريخ ومراحله صورة للجيل المعاصر عن أبرز الدروس والعبر المستفادة من هذا التاريخ، وتعتبر الاستفادة من هذه الدروس وتطبيقها في واقع الحياة والتجارب المعاصرة أبرز ثمرات التعرف على سنن الله في الكون ودراسة التاريخ ومعرفة قوانينه وآلياته، وهذا ما أثبته الله عزّ وجل بعد حديثه عن قصص الأقوام والرسل السابقين بأن بيّن جل وعلا ان اتخاذ العبر أحد أهم مقاصد الإخبار بهذه القصص {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}. ويقدم هذا المبحث أبرز الدروس المستفادة من العرض السابق لتجارب التكامل السياسي والمعرفي والدور الذي قام به –ويمكن أن يقوم به– كل جانب في الإعداد لمعركة التحرير واستعادة بيت المقدس والمسجد الأقصى المبارك، ويمكن بيان طائفة من الدروس المستفادة والأمور العملية التي يمكن للمسلم المعاصر القيام بها وتأدية دوره في الإعداد لتحرير بيت المقدس بما يلي:

1. الخطوة الأولى والأهم في نهضة الأمة وتحرير بيت المقدس والمسجد الأقصى المبارك تتمثل في عودة الأمة لشرع ربها ونهج نبيها صلى الله عليه وسلم، على المستوى الفردي والجماعي، وهذا الدور يمكن لكل مسلم المساهمة فيه وتربية نفسه وأهل بيته عليه، ويتوسع الأمر ليشمل الدائرة المحيطة بكل منا، وهو ما قام به الإمام الغزالي من خلال آلية (الانسحاب والعودة) بأن أصلح نفسه وهيأها للدعوة وإصلاح الغير ثم عاد إلى مجتمعه ناصحاً وداعياً ومصلحاً على مستوى طلابه ومريديه، وشملت دعوته في حينها الولاة والأمراء من خلال مراسلتهم والدروس العملية في التعامل معهم.
2. استعداد أفراد الأمة علمياً ومعرفياً بمعرفة قضيتهم ومسجدهم الأقصى المبارك وتاريخه وواقعه والدور المطلوب من كلٍ منا في المساهمة في هذا التحرير القادم، وتظهر سيرة عماد الدين ونور الدين زنكي وصلاح الدين الايوبي رحمهم الله اهتمامهم بذلك من خلال تقريبهم العلماء واستشارتهم ومنحهم الصلاحيات والمساهمة في الحكم، إضافة إلى الدور الكبير في إنشاء المدارس والمراكز العلمية والثقافية.
3. تهيئة كل منا نفسياً للفتح القادم والعمل المتواصل له بحسب مكانه وموقعه، وهو ما فعله نور الدين زنكي رحمه الله بصنع منبر المسجد الأقصى المبارك قبل تحريره بأكثر من اثني عشر عاماً، وجعل هذا المنبر محفزاً للمسلمين ودافعاً لهم أن التحرير قادم وسنضع هذا المنبر في المسجد الأقصى المبارك، وما أحوج الأمة في يومنا هذا إلى إعداد مثل هذه النماذج للتهيئة النفسية لتحرير المسجد الاقصى المبارك بإعداد أئمة وخطباء ومدرسين ومؤذنين للمسجد الاقصى المبارك[41] ليكونوا دافعاً للأمة ومحركاً للجهود النفسية والتربوية إضافة للجهود السياسية والعسكرية في هذه المعركة.
4. تهيئة الأمة نفسياً للوحدة بين أجزائها ودولها، وتوعية الأمة علمياً ومعرفياً بطبيعة هذه الحدود المصطنعة بينها وتربية الأمة وأبنائها على وحدة الصف والهدف رغم اختلاف البلدان والأعراق والأجناس والألوان، وتحتاج هذه الوحدة إلى تكامل الجهود التوعوية والتربوية باستعادة معاني وحدة الأمة وأخوتها وتذكير الأمة بتاريخها ووحدتها قبل بضعة عقود من السنين، إضافة للجهود السياسية والعملية في تكريس معاني هذه الوحدة وتطبيقها عملياً.

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

5. التخطيط المحكم ورسم السياسات والاستراتيجيات للنهوض بالأمة والارتقاء بأحوالها الإيمانية والتربوية والسياسية والاقتصادية والعسكرية، حيث ينبغي على أفراد أمتنا العمل ضمن مشاريع وخطط مرحلية واستراتيجية لتحقيق أهدافها والاستعانة بمراكز ووحدات البحث والتفكير وأفضل الأساليب العلمية والدراسات البحثية المعاصرة للمساعدة في بناء استراتيجية النهضة بالأمة. ويستفاد من تجربة المجاهد آق سنقر البرسقي في رسمه لسياسة واضحة للتعامل مع الصليبيين بعد رفعه حصار حلب وإبعاد الصليبيين عنها، حيث لم يلاحقهم لقتالهم خاصة بعد تحصنهم في جبال منيعة، بل تفرغ رحمه الله لإصلاح أوضاع المدينة الاقتصادية والاجتماعية ورفع الظلم عن أهلها واعتبر ذلك هدفاً مرحلياً وبيّن أنه سينطلق لقتال الصليبيين وتحقيق هدفه التالي بعد استتباب الأمور.
6. التراكم العملي والمعرفي والتدرج في الميادين المعرفية العلمية والتربوية، والميادين السياسية والعسكرية، فقد بدأ الإمام الغزالي جهوده التربوية والعلمية في مدرسته وبين طلابه في سمرقند، ثم تتابعت خطوات البناء العلمي بانتشار فكرة مدارسه ومنهاجه الجديد في التربية والتعليم في كثيرٍ من المدارس في العديد من المدن والحواضر الإسلامية.
7. وكذلك تراكمت خطوات القادة السياسيين والعسكريين حيث يعتبر توحيد آق سنقر البرسقي لحلب والموصل نواة الوحدة الإسلامية التي هيأت للعمل على توحيد الشام كاملة، ثم تحققت هذه الوحدة بين مصر والشام وتكللت بالنصر وتحرير بيت المقدس زمن صلاح الدين الأيوبي.
8. وتظهر أهمية هذا التدرج والعمل التراكمي في المشروعات الكبرى والمحورية في حياة الأمم ونهضتها، مثل تحرير بيت المقدس من الصليبيين أو التحرير القادم واسترداد قِبلة المسلمين الأولى؛ إذ لا بد أن تتراكم جميع الجهود لتوحيد الأمة والنهضة بها لتحقيق آمالها وأهدافها.
9. تكامل الجهود التربوية والمعرفية والسياسية والاقتصادية والعسكرية، وتكامل دور المؤسسات والمنظمات والقيادات العاملة للتحرير والقضايا الكبرى، وقد ظهرت آثار هذا التكامل واضحة في جهود الإمام الغزالي ومن اتبع نهجه في التربية ودور المجاهد البرسقي ومن جاء بعده إضافة لجهود القادة السياسيين والعسكريين عماد الدين ونور الدين وصلاح الدين رضي الله عنهم أجمعين.

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

وتظهر أهمية هذا التكامل وتنسيق الجهود خاصة في العمل لبيت المقدس والمسجد الأقصى المبارك وضرورة تعاون المؤسسات والهيئات والمشاريع العاملة لخدمة بيت المقدس وتنسيق جهودها، ولا يضير اختلاف الأدوات أو الوسائل التي تستعملها هذه المؤسسات أو اختلافها في ترتيب أولوياتها ما دامت متفقة في الأهداف والثوابت الأساسية في القضية الفلسطينية. وبإمكان هذه المؤسسات تنفيذ الكثير من المشاريع العلمية والمعرفية والتأهيلية وفي جميع المستويات بشكل يحقق أهداف هذه المؤسسات والمشاريع الرامية للإعداد لتحرير بيت المقدس ودخول المسجد الأقصى المبارك فاتحين محررين قريباً بإذن الله {**وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَاعَلَوْا تَتْبِيرًا**}.. {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}.

الخاتمة

أولاً، النتائج

1. تراكم الجهود التربوية والعلمية والسياسية والعسكرية التي استمرت لعشرات السنوات وأثمرت تحرير بيت المقدس والمسجد الأقصى المبارك، وتنوع القادة العلميين والسياسيين والعسكريين الذين صاغوا هذا النصر وعملوا له.
2. أنتجت جهود الإمام الغزالي ومنهجه التعليمي والتربوي جيلاً جديداً مؤهل تربوياً وفكرياً، وساعد انتشار هذا المنهج الإصلاحي ومدارسه في العديد من المناطق الإسلامية على ظهور جيل التحرير.
3. تركز دور المجاهد آق سنقر البرسقي في التأسيس لوحدة الأمة الإسلامية وإعادة روح الأخوة والجهاد فيها، ومثلت الوحدة التي أقامها بين الموصل وحلب نواة الوحدة الإسلامية التي حررت بيت المقدس وأنهت الاحتلال الصليبي.
4. إمكانية استنتاج دروس عملية ومعالم واضحة ساهمت في تحرير بيت المقدس من الصليبيين؛ تسهم في التحرير القادم والتأسيس له أبرزها التربية الإيمانية للأمة وأفرادها، واستعادة وحدة الأمة، إضافة لتكامل الجهود التربوية والسياسية والعسكرية وتراكمها.

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

ثانياً، التوصيات

1. تعاون المؤسسات والباحثين العاملين لخدمة بيت المقدس والمسجد الأقصى المبارك وتكامل جهودهم العلمية والمعرفية، وعدم تنابذها أو تعارضها، وإن اختلفت وسائلها وأولوياتها إن اتحدت أهدافها وغاياتها.
2. توعية الناس بمدى الجهود التي بذلت سابقاً في التحرير، ودور التراكم العلمي والسياسي في تحقيق الانتصار القادم، وتذكيرهم بأن التحولات الكبرى في حياة الأمم بحاجة لخطوات متتابعة ومتراكمة.
3. تركيز الباحثين على الدروس العملية والمعالم الرئيسية في الأحداث التاريخية، والاستفادة منها في فهم حركة التاريخ وقوانينه، أكثر من الغوص في التفاصيل التاريخية والأحداث الفرعية والأشخاص.

الهوامش

1 ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الكريم، *الكامل في التاريخ*، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1997م، ج4، ص430.

2 صالح، محسن محمد، *الطريق إلى القدس*، بيروت، مركز الزيتونة للدراسات، ط5، 2012م، ص89-94.

3 أنظر: خليل، عماد الدين، *نور الدين محمود: الرجل والتجربة*، دار القلم، بيروت، لبنان، 1980م،ص 93 وما بعدها.

4 صالح، محسن، الطريق إلى القدس، ص99-105.

5 أنظر: الطريق إلى القدس، نقلاً عن: أبو شامة المقدسي، عبد الرحمن بن اسماعيل، *الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية*، مصر، القاهرة، لجنة النشر، 1956، ج1، ص 340-347. شنب، محمد، *تجربة صلاح الدين الأيوبي في مواجهة التحديات الصليبية*، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات. www.alzaytouna.net/permalink/5243.html.

6 صالح، محسن، *الطريق إلى القدس*، ص109-111.

7 أنظر: الصلابي، علي محمد، *صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس*، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2008م، ص 536-538.

8 أنظر: الصلابي، علي، *صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس*، ص 506-520. الكيلاني، ماجد عرسان، *هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس*، دبي، دار القلم للنشر والتوزيع، ط3، 2002م، ص261-270. صالح، محسن، *الطريق إلى القدس*، ص108-116.

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

السرجاني، راغب، *صلاح الدين الأيوبي*، مقال منشور www.islamstory.com/ar/%D8%B5.

عاكف، محمد مهدي، *الطريق إلى تحرير القدس وفلسطين*، رسالة منشورة.

9 خليل، عماد الدين، *في التأصيل الإسلامي للتاريخ*، دار الوفاء، المنصورة، مصر، 1998م، ط1، ص15.

10 خليل، عماد الدين، *في التأصيل الإسلامي للتاريخ*، ص 14-15.

11 أنظر: القرضاوي، يوسف عبد الله، *الامام الغزالي بين مادحيه وناقديه*، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط4، 1994م، ص11.

12 أنظر: أرحيلة، عباس، *تربية الطفل عند أبي حامد الغزالي*، بحث منشور على مدونة الباحث عبر الانترنت rhilaabas.arabblogs.com/rhila49/archive/2008/2/461689.html.

13 الغزالي، محمد بن محمد، *المنقذ من الضلال*، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1964، ص25.

14 المرجع السابق، ص61.

15 استفاد الباحث من تحليل د.ماجد الكيلاني في كتابه *هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس* في حديثه عن الإمام الغزالي.

16 الكيلاني، ماجد عرسان، *هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس*، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة، 1994م، ص119.

17 الكيلاني، ماجد عرسان، *هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس*، 136-138.

18 المرجع السابق، ص 230.

19 الكيلاني، ماجد عرسان، *هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس*، ص96.

20 القرضاوي، يوسف عبد الله، *الامام الغزالي بين مادحيه وناقديه*، ص78.

21 أنظر: أرحيلة، عباس، *تربية الطفل عند أبي حامد الغزالي*. نقلاً عن العثمان، عبد الكريم، الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، ص11.

22 الغزالي، محمد بن محمد، *ميزان العمل*، دون ناشر، ص28.

23 أنظر: القرضاوي، يوسف عبد الله، *الامام الغزالي بين مادحيه وناقديه*، ص62-66.

24 أنظر: الغزالي، محمد بن محمد، *إحياء علوم الدين*، المكتبة التجارية، القاهرة، مصر، ج1، ص17.

25 أنظر: الغزالي، محمد بن محمد، *أيها الولد*، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط4، 2010م، ص58. ودراسة العلوم الطبيعية إن صاحبتها نية خالصة لله وخدمة عباده وعياله فهي عبادة من أطيب العبادات.

26 الغزالي، *ميزان العمل*، ص30.

27 القرضاوي، يوسف عبد الله، *الامام الغزالي بين مادحيه وناقديه*، ص62-63.

28 أنظر: أرحيلة، عباس، *تربية الطفل عند أبي حامد الغزالي*. الكيلاني، ماجد عرسان، *هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس*، ص147-148.

29 تمثل الهدف الثاني لحجة الإسلام في التركيز على أمراض الأمة والعمل على معالجتها بدلاً من الانشغال بالأعراض عن المرض الرئيسي. الكيلاني، ماجد عرسان، *هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس*، ص 94.

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org

30 أنظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،1987م، ج34، ص68. ابن تغري بردي، *جمال الدين يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، دار الكتب، القاهرة، مصر، 1993م، ج2، ص60. خليل، عماد الدين، *المجاهد آق سنقر البرسقي*، مجلة الفسطاط التاريخية نقلاً عن موقع إسلام ستوري، 2010م.

31 أنظر: ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، ج2، ص60. موقع قصة الإسلام، آق سنقر البرسقي، 27/07/2008.

32 أنظر: خليل، عماد الدين، *المجاهد آق سنقر البرسقي*. موقع قصة الإسلام، آق سنقر البرسقي.

33 الصلابي، علي محمد، *دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي*، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2006م، ص584.

34 ابن العديم، عمر بن أحمد، *زبدة الحلب من تاريخ حلب*، ص294.

35 أنظر: ابن العديم، عمر بن أحمد، *زبدة الحلب من تاريخ حلب*، ص 294.

36 خليل، عماد الدين، *المجاهد آق سنقر البرسقي*.

37 أنظر: شاكر، محمود، *التاريخ الإسلامي:الدولة العباسية*، بيروت، لبنان، المكتب الإسلامي، ج6، ص270-271.

38 أنظر: الصلابي، علي محمد، *صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس*، ص100. الصلابي، علي محمد، *سنقر البرسقي قعيد نذر الجهاد فرزقه الله الشفاء*، 2009م.

39 أنظر: ابن العديم، عمر بن أحمد، *زبدة الحلب من تاريخ حلب*، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996م، 295. الصلابي، علي محمد، *دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي*، ص- 585.

40 الصلابي، علي محمد، *سنقر البرسقي قعيد نذر الجهاد فرزقه الله الشفاء*، مقال منشور.

41 أصل هذه الفكرة من نقاشات دارت مع طلبة الجامعة الإسلامية العالمية- ماليزيا.

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
isravakfi.org